



براعة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في معارضته لمعلقة طرفة بن العبد

تميم أبو دقة

ألف الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام زهاء ٢٢ كتابا باللغة العربية الفصحى والبلغة، قدّم فيها مبادئ الإسلام الحقّة وتعاليمه السامية، وضمّن ألف الأبيات من الأشعار الرائعة في العرفان الإلهي ومدح النبي صلى الله عليه وآله وإظهار مزاياه العظيمة ومدح الإسلام والقرآن الكريم. لقد تجلّت في هذه الكتابات آية عظيمة؛ وهي تعلم حضرته الإعجازي لأربعين ألفا من اللغات العربية في ليلة واحدة، إذ علمه الله تعالى الجذور والنحو والصرف والأساليب والتراث والشعر والأدب والأمثال والثقافة العربية واللهجات العربية الفصحى المتنوعة. ولقد ظهر هذا التعلم في قوة لغته فتحدى الخصوم مرارا للآتيان بمثل كتاباته وعجزوا عن ذلك، كما تجلّى في تطعيم كتاباته وأشعاره بالتراث العربي ومُلحّه، بل وفي تجديد اللغة وربطها بتراثها، بل وفي إنشاء حركة للحفاظ على التراث العربي واستدامة ربط ماضيها بحاضرها معاكسا بذلك تيارا كان قد ساد في العالم العربي وسعى إلى تسطيح اللغة بل وإهالها والتخلي عنها، بل تقدّم درجة بإعلان أن الله تعالى قد علمه بأن العربية هي أمّ الألسنة وأعظم لغات العالم بلا منازع، وقدّم الأدلة العديدة على ذلك وتحدى بها. وفي المقالات التالية سيتضح جانب من أعمال حضرته ومظاهرها، كما سيُردُّ تلقائيا على الاعتراضات حول اللغة العربية وعلى رأسها الاتهام بالسرقة من كتب الأدب العربي كالحريري والهمذاني وكذلك من الشعر الجاهلي.

في إثبات أنه مبعوث ومأمور من الله، بينما لم تكن قصيدة طرفة بن العبد سوى الغزل والبكاء على الأطلال ثم وصف الناقّة ثم تمجيد اللغو واللغو وشرب الخمر والدعوة إلى الإكثار منها لأن الحياة فانية! فشتان بين رسالة المسيح الموعود السامية ومواضيع طرفة بن العبد البالية. ولننظر الآن إلى مواضع وظّف فيها حضرته تعابير وصور طرفة لتخدم موضوعه السامي. القصيدة هي:

ذكرنا أن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام كان مبدعا في شعر المعارضة، وقد ابتكر أيضا المعارضة النثرية كما بيّنا أمثلتها في الحريري، وبيننا كيف ارتقى حضرته بالكلمات والمعاني والتعابير ووظفها أروع توظيف. وسأعرض الآن جانبا من معارضة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لمعلقة طرفة بن العبد، وكيف استطاع بكل براعة توظيف عباراته وكلماته لتخدم غرض حضرته



| | |
|-----------------|---|
| المسيح الموعود: | أُمِرْتُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمَجِيدِ |
| معلقة طرفة: | إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ قَتَى؟ خِلْتُ أَنِّي |
| المسيح الموعود: | وَهَذَا كِتَابِي قَدْ تَلَّأُ وَجْهَهُ |
| طرفة: | وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ |
| المسيح الموعود: | وَأودعته أسرار علم وحكمة |
| طرفة: | أُمِرْتُ يَدَاها فَتَلَّ شَكْرًا وَأُجْحَتَتْ |
| المسيح الموعود: | وَقَدْبَانِ وَجْهَهُ الْحَقُّ فِيهِ وَضَاحَةٌ |
| طرفة: | وَوَجْهُهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِداءَها |
| المسيح الموعود: | وَوَاللَّهِ إِنِّي مِنْ نَخِيلِ خَمِيلَةٍ |
| طرفة: | وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ حِنْضارِهِ |
| المسيح الموعود: | وَقَدْ خَصَّصَنِي رَبِّي وَالْقَى رِداءَهُ |
| طرفة: | أَمُونٍ كَاللُّوْحِ الْإِرَانِ نَسَأَتْها |
| المسيح الموعود: | وَقَدْ ذُلَّتْ نَفْسِي بِتَوْفِيقِ خالِقِ |
| طرفة: | تُبَارِي عِتاقًا نَاجِياتٍ، وَأَتَبَعَتْ |
| المسيح الموعود: | نَما كُلِّ عِلْمٍ صالِحٍ فِي قِرْمَحَتِي |
| | فَقَمْتُ وَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَدَّلِ |
| | عُنَيْتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَدَّلِ |
| | تَلَّأُوْهُ سَمَطِي لَوْلُوْهُ وَزَبْرَجَدِ |
| | مُظاهِرُ سَمَطِي لَوْلُوْهُ وَزَبْرَجَدِ |
| | وَرَتَّبَتْهُ مِثْلَ الثَّقِيفِ الْمَسِيدِ |
| | لَهَا عَضُدَاها فِي سَقِيفِ مُسَنَدِ |
| | كَحَدِّ تَقِيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ |
| | عَلَيْهِ، تَقِيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ |
| | وَجِيَّ بِيستاني يروح ويغتدي |
| | بِهَوِجاءِ مِرقالِ تَرُوحٍ وَتَغْتَدِي |
| | عَلِيَّ فَمَا تَدْرُونَ ما تَحْتِ بُرْجَدِي |
| | عَلِيَّ لا حِبِّ، كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجَدِ |
| | فَلَيْسَ كَمِثْلِي فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ |
| | وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ |
| | كَأَشجارِ مَوِيِّ الأَسْرَةِ أَغْيَدِ |



| | | |
|-----------------|--|---|
| طرفة: | تَرَبَّعتِ القُفَّينِ في الشَّوْلِ تَرْتَعِي | حَدائقِ مَواليِ الأَسِرَةِ أَعْيَدِ |
| المسيح الموعود: | وقومي يعاديني غرورا ونخوة | متى أذنُ رحماً يَنأ عني ويبعدُ |
| طرفة: | فما لي أراني وابن عَمِّي مكالِكا، | متى أذنُ منه يَنأ عني ويبعدُ؟ |
| المسيح الموعود: | يسب وما أدري علاما يسبني | أيكفر من يُعلي لواء محمد؟! |
| طرفة: | يُلوُمُ وما أدري علام يلوُمُني | كما لا مَني في المَجيِّ قُرْطُ بنُ مَعبدِ |
| المسيح الموعود: | وكيف أعالج قلب وجه مسود | غبي شقي في البطالة مفسد؟! |
| طرفة: | أرى قَبْرَ نَحامٍ بِخيلِ بِمالِه | كُتِبَ عَوي في البَطالَةِ مُفْسِدِ |
| المسيح الموعود: | ويعلون دَعصَ الرمل هرباً وكلهم | كُرِّبِ ثورِ الوحشِ يَحشون جَدجدي |
| طرفة: | وتَسِمُ عَن ألي كَأَنَّ مُؤرّاً | تَخَلَّلَ حُرَّ الرَمْلِ، دِعصِ لَهُ نَدِ |

(كتاب التبليغ)

وكما رأينا، فقد استخدم حضرته أحيانا الكلمات ذاتها، وأحيانا كلمات مشابهة محافظا على القالب والأسلوب بصورة مذهلة رائعة بديعة.

فمن ذا الذي يستطيع أن يعارض فحول شعراء الجاهلية سوى من علمه الله تعالى اللغة العربية تعليما إعجازيا، فأصبح كأنه قد عاش هذه العصور وعاش أهلها؟

بقي أخيرا أن نقول بأن شعر المعارضات لا يتطلب أن يعلن المعارض أنني سأعارض القصيدة الفلانية! فهذا لم يحدث قط! بل هو ينظمها وينشرها ويرى الناس هذه المعارضة ويعرفونها.

أما إذا قال جهول - بناء على هذه المعارضة - أن حضرته قد سرق من طرفة بن العبد فهذا هو الخطل والخلبل والجنون بلا حدود. فهل كانت معلقة طرفة مجهولة منسوبة لا يعرفها أحد، أم أن حضرته قصد أن يرى الناس هذه التعابير ويروا براعته مقابل طرفة ويروا كيف وظف هذه التعابير والتراكيب والصور لتخدم غرضا ساميا وهي بيان المعاني الروحانية السامية.